سياسة بريطانيا ومصر
تجاه السودان ١٩٥٢-١٩٥٦

أ.م.د. حسان ريكان خلف
الجامعة العراقية /كلية الآداب

ملخص البحث

شهدت قضية السودان تدخلاً واضحاً من قبل بريطانيا ومصر قبل اندلاع ثورة يوليو/ تموز ١٩٥٢ وبعدها ، وكان كل طرف يحاول تحقيق أهدافه السياسية على حساب رغبة السودانيين في تقرير مصير بلادهم، فكانت مصر ترغب أن يكون السودان جزءاً لا يتجزأ من مصر، أما بريطانيا فكانت تدعم التيار الذي يدعو إلى الانفصال عن مصر، وهذا الموقف الأخير لا ينم عن موقف بريطانيا المساند لقضية السودان بقدر تعلق الأمر بأن بريطانيا ضد فكرة أي مشروع وحدوي في المنطقة لأن هذا الأمر يتعارض مع تحقيق مصالحها الاستعمارية في المنطقة، ولهذا تمكنت بريطانيا في نهاية المطاف أقناع حتى التيار الذي كان يدعو إلى الوحدة مصر باتجاه الانفصال حتى أعلن إسماعيل الأزهري عام ١٩٥٥ صراحةً أمام مؤتمر باندونغ برغبة السودان في الاستقلال عن مصر، ولهذا فقد شعرت مصر بالإحراج أمام المجتمع الدولي مما اضطرها إلى الرضوخ إلى إرادة السودانيين ورغبتهم في الاستقلال عن مصر والذي تحقق في كانون الثاني عام ١٩٥٦ ، على الرغم من أن رغبة الحكومة المصرية كانت تسير قبل هذا باتجاه تحقيق فكرة وحدة وادي النيل.

Abstract

Saw the issue of Sudan clearly an intervention by Britain and Egypt before the outbreak of the revolution in July 1952 and thereafter, and each party is trying to achieve its political objectives at the expense of the desire of the Sudanese decide the fate of their country, Egypt was like to be a Sudan is an integral part of Egypt, but Britain was supporting power, which calls for secession from Egypt, and this latter position does not reflect the position of Britain cushions to the issue of Sudan as far as that Britain against the idea of any project and unitary in the region because this is contrary to their interests colonial in the region, but this has managed Britain eventually convince even current that was calling for unity Egypt toward secession even announced Ismail al-Azhari in 1955 explicitly to the Bandung Conference desire Sudan in independence from Egypt, but this felt Egypt embarrassed in front of the international community, forcing it to bow to the will of the Sudanese and their desire for independence from Egypt and the check in December the second in 1956, despite the fact that the desire of the Egyptian government was moving towards achieving this before the idea of the unity of the Nile Valley.

المقدمة

تناولت الدراسات التاريخية جوانباً مهمة من تاريخ السودان السياسي الحديث والمعاصر، وناقشت حلقات مهمة في تاريخ هذا البلد، وجاءت لتكون مكملة لتلك الدراسات لاسيما وأنها سلطت الضوء على فترة مهمة في تاريخ السودان الممتدة ما بين عامي ١٩٥٢-١٩٥٦ والتي اشتد فيها التنافس بين مصر وبريطانيا لتقرير مستقبل السودان السياسي.

يتألف الموضوع من مبحثين، تناول المبحث الأول ثورة ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢م وانعكاسها على مستقبل السودان السياسي، وكذلك المباحثات بين مصر وبريطانيا حول السودان حتى عام١٩٥٢، أما المبحث الثاني فقد سلط الضوء على المفاوضات المصرية-البريطانية للفترة ما بين عامي ١٩٥٣-١٩٥٦، والتي تضمنت توقيع اتفاقية الحكم الذاتي عام ١٩٥٣، ومؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥، الذي نقل قضية السودان إلى المجتمع الدولي وتواصلت الدراسة حتى نيل السودان استقلاله عام ١٩٥٦. هذا ويأمل الباحث أن تُسهم في إفادة الباحثين والمهتمين بمعلومات هامة عن تاريخ السودان السياسي، ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

ثورة ٢٣ يوليو / تموز ١٩٥٢ وانعكاسها على مستقبل السودان السياسي

- **موقف الثورة المصرية من قضية السودان:**

نجح تنظيم الضباط الأحرار[١] في قيام ثورة ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢ في مصر لتبدأ صفحة جديدة، ليس في تاريخ مصر السياسي فحسب بل في المنطقة العربية برمتها، إذ تعد أول ثورة عربية تشهدها المنطقة في النصف الثاني من القرن العشرين قد اطاحت بنظام الحكم وقد استبشرت القوى السياسية السودانية خيراً بنتائج هذه الثورة على مستقبل السودان السياسي الذي بقى مصيره معلقاً بدون حسم طيلة فترة الحكم الملكي وذلك لرغبة الحكومة الملكية في مصر بضم السودان وتحقيق وحدة وادي النيل[٢].

جاءت الثورة لتضع حداً للانتظار الذي ألقى بأعبائهِ على قادة السودان بعد أن أصبح لمصر حكومة ثورية سعت لوضع الحلول للمشاكل العالقة في الداخل والخارج، ولهذا أعرب السودانيون عن فرحتهم لاندلاع الثورة[٣]، التي أزالت عقبة كبيرة أمام المتفاوضين بشأن مستقبل السودان

---

(١) تعود بداية تشكيل هذا التنظيم إلى عام ١٩٣٨ ، وبدأ يمارس نشاطه السياسي السري في أواخر عام ١٩٤٥، وكان معارضاً لسياسة الملك فاروق والوجود البريطاني في مصر، وأبرز أعضاء التنظيم: اللواء محمد نجيب، المقدم عبد اللطيف البغدادي، المقدم جمال عبد الناصر، المقدم أنور السادات والرائد صلاح سالم وآخرون. للتفاصيل، ينظر: احمد حمروش، قصة ٢٣ يوليو، ج١، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٧٤م، ص ١٩٣-١٩٥.

(٢) جميل الياس عفارة، مشاكل السودان والدوافع البارزة وراء الانقلاب العسكري الأخير، شركة الطبع والنشر اللبنانية، بيروت، ١٩٨٥، ص١٠٣؛ للتفاصيل ينظر: محمد عصام المرشدي، الثورة العربية وأثارها في تطور الشعب ونهضتهِ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٩٦-٩٧.

(٣) جميل الياس عفارة ، المصدر السابق، ص١٠٣-١٠٤.

السياسي ألا وهي مسألة لقب ملك مصر والسودان الذي تمسكت بهِ الحكومة الملكية، ويُعد هذا الأمر انفراجاً بعد أن أصبح الطريق ممهداً للتوصل إلى تقرير مصير السودانيين(١).

أظهر السودانيون تعاطفهم مع قائد الثورة اللواء محمد نجيب(٢) لأن والدتهُ سودانية ، كما أنه مولود في السودان، وعاش ودرس فيهِ، ومما جاءَ في تصريحهِ بشأن قضية السودان: "إنهُ قد بدا لي بعد التخلص من ملك غير محبوب في السودان كما كان كذلك في مصر، إننا نستطيع التغلب على بريطانيا في لعبتها مجرد مواجهتنا خدعتهم" (٣).

عرضت قضية السودان أمام مجلس قيادة الثورة المصري لأول مرة في منتصف آب سنة ١٩٥٢ ، وبعد أن ناقش المجلس القضية بكافة تفاصيلها رأى بأن أمام مصر خيارين لا ثالث لهما ، أما أن تستمر في سياستها السلبية السابقة وتعارض مشروع الدستور(٤)، الذي اقترحه الحكومة البريطانية، أو أتباع الخيار الثاني الذي ينحصر في تركيز الجهود المصرية لتعديل مشروع الدستور ليعطي أكبر قسط من

---

(١) انطوني ايدن، مذكراته، ج١، ترجمة: خيري حماد، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص٣٤٦.

(٢) مدثر عبد الرحيم، الإمبريالية والقومية في السودان – دراسته للتطور الدستوري والسياسي ١٨٩٩-١٩٥٦، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧١، ص١٤٢.

(٣) محمد نجيب، مصير مصر، ترجمة: مكتبة بغداد للدعاية والإعلان، مطبعة المستقبل، بغداد، د. ت، ص٤٢؛ مدثر عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٨٥.

(٤) في ٢ نيسان ١٩٥٢ عرضت الحكومة البريطانية على الجمعية التشريعية السودانية دستوراً منح بموجبهِ السودان مجلساً للنواب منتخب (٦٠%) من اعضائه واقترح أن يكون الحاكم العام البريطاني في السودان رئيساً للسودان، إلا أن الحكومة المصرية رفضت لأنه يتناقض مع قرار إلغاء معاهدة عام ١٩٣٦. للتفاصيل ينظر: أحمد إبراهيم دياب، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٣٨-١٩٥٣، معهد البحوث والدراسات التاريخية، بغداد، ١٩٨٤، ص١٩٧.

الصلاحيات للشعب السوداني وحكومته، والإصرار على خروج البريطانيين من السودان في السرعة الممكنة[١]، كي يقرر الشعب مصيره بمحض إرادته ، فإن قرر الوحدة مع مصر فسيجد هذا القرار ترحيباً من قبلها، وإن قرر الاستقلال تكون مصر قد حققت نجاحاً لها بكسبها سوداناً مستقلاً عن المستعمرين البريطانيين، وقد فضل مجلس قيادة الثورة الخيار الثاني[٢].

نرى أن موقف مجلس قيادة الثورة من تقرير مصير السودان يُعد نقطة تحول جوهرية في تاريخ العلاقة بين الجانبين، فكان الخطاب المصري صريحاً وواضحاً وهذا لم نشهده في عهد ما قبل الثورة الذي كان يتطلع دائماً إلى الوحدة ولا يترك خياراً آخر للشعب السوداني.

- **المباحثات المصرية- البريطانية حول السودان:**

اجتمع السفير البريطاني في القاهرة السير رالف ستيفنسون **(Ralef. Stevenson)** في ٢٤ أيلول ١٩٥٢، مع اللواء محمد نجيب ورأى السفير البريطاني في حواره مع نجيب ضرورة القيام بأجراء انتخابات في السودان بشكل مبكر وهذا يتطلب من بريطانيا ومصر أن تعطي موافقتهما على الدستور الجديد، وقد أجابَ محمد نجيب أنهُ لا يستطيع أن يلزم حكومته بهذا الأمر قبل التشاور معها، إذ كانت مصر ترغب بتأجيل موضوع الانتخابات السودانية لمدة معينة لحين دراسة نصوص المقترحات البريطانية الواردة في الحكم الذاتي وإعطاء

---

(١) أبو بكر حسن محمد باشا، تأثير مصر على الأوضاع السياسية في السودان ١٩٥١-١٩٥٦، معهد الدراسات القومية والاشتراكية (سابقاً) ، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٠، ص١١١-١١٢.

(٢) جريدة السفير، العدد ٢٥٤٣، ٢٨ أيار ١٩٨٢م؛ للتفاصيل ينظر: ثورة يوليو والسودان في: مجلة روز اليوسف، العدد ١٩٨٨، السنة الحادية والأربعون، ١٨ يوليو/ تموز ١٩٦٦، ص٢٥.

رأيها فيها، بينما رغبت بريطانيا في الإعلان عن قانون الحكم الذاتي في موعده المحدد قبل نهاية عام ١٩٥٢م تجنباً لفقدان المصداقية مع السودانيين[١].

قدمت الحكومة المصرية فيما بعد مقترحات إلى وفد حزب الأمة السوداني[٢] في القاهرة في ٢١ تشرين الأول ١٩٥٢م ، كأساس للتفاوض بينهما ونصت هذه المقترحات على تقرير السودانيين لمصيرهم بحرية تامة، أما بإعلان استقلال السودان بحدودهُ الجغرافية عن مصر وبريطانيا أو الارتباط مع مصر على أن يسبق ذلك الحكم الذاتي الكامل في السودان فوراً[٣]، أبدى حزب الأمة إرتياحهِ لهذه المقترحات وعدّها انتصاراً لوجهة نظرهِ وأصبحت بذلك موضع تنفيذ من الحكومة المصرية وقيادة الجيش[٤].

كانت الحكومة البريطانية تراقب ما يجري من حوار بين القادة السودانيين والحكومة المصرية ولذلك أصدرت بياناً رسمياً في ٣١ تشرين الأول ١٩٥٢ عبرت فيه عن رأيها في المباحثات وجاءَ في

---

(١) وليد حمدي الأعظمي، قضايا عربية في وثائق الخارجية البريطانية، وثيقة رقم **FO371 / 96908** ؛ مجلة الدستور، العدد ٣١٦، ١٩٨٣، ص٥٨-٥٩.

(٢) تأسس هذا الحزب في شباط ١٩٤٥، وكان شعاره (السودان للسودانيين) ، وقد طالب بالتحالف مع بريطانيا، وكان يرعى هذا الحزب عبد الرحمن المهدي زعيم طائفة الأنصار، وعبد الله خليل سكرتيراً له. ينظر: منى حسن عبيد الشمالي، حزب الأمة ودوره في الحياة السياسية السودانية ١٩٤٥-١٩٨٩، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص٣٩.

(٣) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني بشأن السودان ١٩٣٦-١٩٥٩، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٠٨-١١٠.

(٤) عبد الرحمن المهدي، مذكرات الإمام عبد الرحمن المهدي، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٠٤.

البيان: "إن هناك أدلة على أن مصر غيرت من سياستها نحو السودان، وأنها على استعداد للتعاون مع حكومة المملكة المتحدة للأخذ بيد السودانيين نحو الحكم الذاتي وتقرير المصير..."(١).

أرادت حكومة الثورة أن تفوت الفرصة على الحكومة البريطانية في التدخل بشؤون السودان، ولذلك أظهرت تساهلها في المباحثات مع الذين يطالبون بالاستقلال عن مصر وكانت تراهن على كسب ود السودانيين بإعطائهم الحكم الذاتي، وأشعارهم بأنهم أحرار في تقرير مصيرهم بدون قيد أو شرط، ورأت أيضاً أن هذا الأسلوب هو الطريقة المثلى لجعل الاستقلاليين يميلون للارتباط بمصر، لاعتقادها أنه لا يمكن للسودانيين الاتفاق على من يمثلهم في ظل أجواء التنافس والخلاف بين قادة السودان(٢) البارزين(٣).

يبدو لنا أنه على الرغم من اختلاف الآراء، والحذر من خطوات حكومة الثورة فإنها سارت قدماً في كسب التيار الاتحادي السوداني الذي يدعو إلى الوحدة مع مصر فضلاً عن التيار الاستقلالي الذي يدعو إلى استقلال السودان عنها، ولم تتح أي فرصة للحكومة البريطانية ليتسنى لها المشاركة في النقاشات حول مستقبل السودان.

---

(١) جريدة الرأي العام، العدد ٢٢٥٨، الأول من تشرين الثاني ١٩٥٢.

(٢) وهم علي الميرغني زعيم الطائفة الختمية، وعبد الرحمن المهدي زعيم طائفة الأنصار.

(٣) د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، ملفه رقم ٢٦٧٣ /٣١١ ، تقارير المفوضية العراقية في القاهرة، ٣ تشرين الثاني ١٩٥٢، وثيقة رقم ٨٥، ص٢٤١.

المبحث الثاني : المفاوضات المصرية البريطانية ١٩٥٣-١٩٥٦

- **اتفاقية الحكم الذاتي عام ١٩٥٣:**

استمرت الأوضاع في السودان دون أن تشهد أي تقدم على مستوى الوضع السياسي فيما يتعلق بتقرير مصيره على الرغم من المفاوضات المتعددة بين الجانبين المصري والبريطاني والتي تناولت الشأن السوداني على اعتبار أن السودان يخضع لاتفاقية الحكم الذاتي لعام ١٨٩٩م، ولما انتهت فترة الحكم الذاتي في مصر بعد القضاء على حكم الملك فاروق على يد قادة ثورة ٢٣/تموز/١٩٥٢ أظهر قادة الثورة اهتمامهم بقضية السودان، وتمكن اللواء محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة من طمأنة الأحزاب السودانية باحترام تقرير مصير السودان ولم يظهر لهم التمسك بشعار قبل اندلاع الثورة، وأراد بهذا أن يكسب جميع الأطراف السودانية بعيداً عن تأثير الجانب البريطاني(١).

أظهر الجانبان المصري والبريطاني رغبتهما في حل قضية السودان وجرت العديد من المفاوضات توصلت في نهاية المطاف وبناءً على رغبة الأحزاب السودانية إلى وضع اتفاقية سميت باتفاقية السودان تم التوقيع عليها في ١٠ / كانون الثاني/ ١٩٥٣ وبعد سلسلة من المشاورات بين الطرفين المصري والسوداني(٢) ، ووقعوا أيضاً على وثيقة تضمنت انسحاب السودانيين من حكومة السودان البريطانية في الجنوب وسودنه الوظائف أي أتاحة الفرصة للسودانيين للدخول في الوظائف الحكومية

(١) أحمد حمروش، قصة ثورة يوليو، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص١٣.

(٢) أنور حداد، مجتمع عبد الناصر، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص٢.

وجلاء الجيش المصري والبريطاني من السودان وأن تكون هذه الوثيقة هي أساس الحكم الذاتي(١).

وفي ١٢/ شباط/ ١٩٥٣ وضعت هذه الوثيقة أمام السفير البريطاني في القاهرة رالف ستيفنسون فسقطت جميع الذرائع البريطانية التي أكدت على رغبة السودانيين ببقاء القوات البريطانية على أرض السودان وتوصل الجانبان المصري والبريطاني إلى وضع اتفاقية سميت باتفاقية الحكم الذاتي، وقد وقعت عليها جميع الأحزاب السودانية في التاريخ المذكور آنفاً(٢).

ويبدوا لنا أن هذه الاتفاقية تعد انتصاراً للإرادة الوطنية لأبناء السودان التي تغلبت على المصالح الشخصية وهذا دليل على نضج وعيهم وشعورهم بالمسؤولية حيال قضية بلادهم المصيرية.

جرى افتتاح أول برلمان سوداني في الأول من كانون الثاني ١٩٥٤ وتم انتخاب إسماعيل الأزهري في ٦/ كانون الثاني/ من العام نفسه رئيساً للوزراء(٣)، وفي الأول من آذار ١٩٥٤ وصل اللواء محمد نجيب والوفد المرافق له إلى السودان للمشاركة في افتتاح البرلمان السوداني(٤)، وقد استغل حزب الأمة السوداني الذي كان يرفض الوحدة مع مصر هذه الفرصة للتعبير عن سخطه من الوحدة مع مصر، فنظم

(١) مدثر عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٧٠.

(٢) وليد حمدي الأعظمي، قضايا عربية في وثائق الخارجية البريطانية ، وثيقة رقم **FO 371/102744/56358** ؛ مجلة الدستور، العدد ٣٣١، لندن، ١٩٨٤، ص٥٨.

(٣) عمر محمد عبد الله، معركة البرلمان السوداني، مطبعة التحرير، القاهرة، ١٩٥٤، ص١٦٦-١٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٣.

تظاهرة حاشدة استقبلت نجيب وهي تهتف: (لا مصري ولا بريطاني السودان للسوداني) [١].

كان لهذا الموقف أثر كبير في تاريخ السودان السياسي اللاحق، فقد أظهر للزعماء السودانيين الذين كانوا يرغبون بالوحدة مع مصر مدى خطورة موقفهم على وحدة الشعب السوداني، ومن ثم أنه شكل عنصراً ضاغطاً على هؤلاء الزعماء للحد من اندفاعهم نحو الاتحاد مع مصر، ومن ناحية أخرى فقد أصبح نجاح المعارضة المسلحة في تحقيق أهدافها سابقة جديدة في تاريخ السودان السياسي، لذا لجأ حزب الأمة بعد ذلك إلى محاولة استقطاب الجماهير السودانية إلى جانبه وإقناعه بتوجيهاته السياسية لفرض إرادته على الشعب السوداني[٢]. يتضح لنا أن الموقف من زيارة اللواء محمد نجيب قد نبه الحكومة المصرية إلى صعوبة تحقيق الوحدة مع السودان، مما جعلها تعيد حساباتها بشأن مؤازرة التيار الاتحادي في السودان وأن تتبع سياسة جديدة في علاقتها مع هذا البلد.

تزايدت الضغوط المنادية بتحديد مستقبل السودان وقد تجاوب الأزهري مع المواقف السياسية الداعية إلى الاستقلال إذ أعلن خلال زيارته جزيرة مساوي في شمال السودان في شباط ١٩٥٥ ما نصه: "أن السودان اليوم يحكمه أبناؤه فرئيس الحكومة سوداني والوزراء سودانيين والإداريون سودانيون، ورجال الشرطة والجيش كلهم أصبحوا سودانيين، وبعد أن يمضي منتصف هذا العام تكون السودنة قد تمت في الوزارات والمصالح الحكومية"[٣]. وظل إسماعيل الأزهري متحمساً لفكرة استقلال

---

(١) محمد نجيب، المذكرات، كنت رئيساً لمصر، مطابع الأهرام التجارية، ط/٣، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٢٩٢.

(٢) جمال عبد الجواد، مصر في السياسة السودانية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٧٩، بيروت، أيلول سبتمبر، ١٩٨٥، ص٨٥.

(٣) أبو بكر حسن باشا، المصدر السابق، ص٢٦٥.

السودان حتى أعلنها صراحة فيما بعد أمام الوفود المشاركة في مؤتمر باندونغ.

ثالثاً: السودان ومؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥:

حضر الوفدان المصري والسوداني المؤتمر الذي بدأ جلساته في ٨/ نيسان/ ١٩٥٥[١]، وقد ترأس الوفد المصري الرئيس جمال عبد الناصر أما الوفد السوداني فكان برئاسة إسماعيل الأزهري، وأعلن الرئيس المصري قبل بداية المؤتمر رغبته في التعاون مع الوفد السوداني وتنسيق الجهود معاً لكي يكون لهما فاعلية أكثر في المؤتمر، إلا أن الأزهري لم يستجب لتلك الرغبة فقرر حضور وفده منفرداً لكي يعبر عن وجهة بلاده باستقلالية أمام المجتمع الدولي[٢].

وظهرت مؤشرات أخرى كانت توحي بعدم التقارب بين الوفدين في أثناء الجلسة إذ كان من المتوقع أن يجلس الوفد السوداني إلى جانب الوفد المصري، ولكنه جلس لوحده واضعاً علم خاص به كتب عليه اسم السودان تعبيراً عن استقلال بلاده عن مصر[٣]. أراد الأزهري كما يبدو لنا في هذا الموقف أن يظهر للعالم بأن السودان دولة ذات سيادة، ولقطع الطريق أمام مصر في تحقيق حلم الوحدة مع السودان.

---

(١) محمد مصطفى هدارة، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٢٥، دراسة تحليلية لطبيعتها وأهدافها وجذورها التاريخية، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٣٥؛ للتفاصيل عن مؤتمر باندونغ ينظر: عبد الله أمام، الناصرية- دراسة بالوثائق في الفكر المصري، القاهرة، د.ت، ص١٠١-١٠٥.

(٢) محمد سعيد محسن، عبد الناصر والسودان، شركة ميدلايت المحدودة، لندن، ١٩٩٢م، ص٢٦.

(٣) حسان ريكان خلف الدليمي، العلاقات المصرية السودانية ١٩٥٢-١٩٧٠، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٥، ص١٠٨.

أعلن الأزهري في الكلمة التي ألقاها للمؤتمرين رغبة السودان في الاستقلال مع تكوين روابط قوية مع مصر، وكان الأزهري قد لمس حقيقة شعور السودانيين الذين أعطوه أصواتهم في الانتخابات بعدم رغبتهم في الوحدة مع مصر على اعتبار أنها تفقدهم معالم سودانيتهم، وهم مع حبهم لمصر كانوا يريدون استقلال بلادهم مع روابط أخوية تربطهم بمصر(١).

وألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً أمام الوفد السوداني في القاهرة بعد عودتهم من المؤتمر جاء فيه: "ليس من مصلحة مصر أن تضغط على سوداني واحد لكي يعلن عن رأي لا يؤمن به لأن الاتحاد إذا تحقق والصداقة مفقودة فتكون نتيجته كارثة على البلدين"(٢).

يتضح لنا أن الحكومة المصرية قد شعرت برغبة الشعب السوداني في الاستقلال وحتى الأحزاب السودانية التي كانت تدعو إلى الوحدة قد تغير موقفها من هذه الفكرة ولهذا تركت الخيار إلى الحكومة السودانية في تحديد طبيعة علاقتها مع مصر.

رابعاً: استقلال السودان عام١٩٥٦:

اجتمع مجلس النواب السوداني في ١٦/ آب/١٩٥٥ من أجل تحديد مستقبل السودان السياسي، وألقى إسماعيل الأزهري رئيس الوزراء خطاباً جاء فيه: "نحن أعضاء مجلس النواب في البرلمان مجتمعاً نعرب عن رغبتنا في الشروع باتخاذ التدابير لتقرير المصير فوراً ونرجو من معاليكم أخطار الحكومتين المتعاقدتين بهذا القرار" (٣).

---

(١) حسان ريكان الدليمي، المصدر السابق، ص١٠٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) محمد عامر بشير،الجلاء والاستقلال، الدار السودانية للكتب،الخرطوم،١٩٧٥، ص٨- ٩.

وأضاف الأزهري قائلاً: "الويل لنا ولأجيالنا المقبلة جميعاً إذا كان بين صفوفنا هنا في هذه القاعة من تسول له نفسه أن يعبث بقداسة هذا اليوم فيسجل على نفسه عار الأبد وعلى بلاده المذلة والهوان"(١).

وافق مجلس النواب بالإجماع على ما جاء في خطاب الأزهري وبعد نهاية الاجتماع خرج أعضاء البرلمان يتقدمهم الأزهري في موكب وطني أنضم إليه عدد من السودانيين الذين حملوا لافتات تنادي بالاستقلال والجلاء فجابوا في وسط العاصمة الخرطوم إذ استقبلهم الناس بالتأييد لهذه الخطوة، وفي الوقت نفسه شهدت مدن سودانية أخرى مثل هذه المظاهرات بعد أن سمعت بأنباء مجلس النواب وإصرارهم على وضع نهاية مشرفة لمستقبل بلادهم(٢).

تطورت الأحداث في السودان بسرعة بعد استقالة الحاكم العام للسودان السير الكسندر نوكس هولم **(Elxsander N. Hollim)** وهو اليوم الذي تم فيه جلاء القوات الأجنبية عن أرض السودان، وقد أبلغ السفير البريطاني في القاهرة اللورد تريفليان (Lord Trifellan) في ١٣ / تشرين الثاني/ ١٩٥٥ والرئيس جمال عبد الناصر في ٢/ كانون الأول/ من العام نفسه عدم استعداد الحكومة البريطانية لترشيح أحد رعاياها خلفاً له(٣)، وهي أشارة واضحة كما يبدو على انتهاء مهمتها القتالية على أرض السودان.

اتفقت الأحزاب والشخصيات السودانية على تأليف لجنة من السودانيين تقوم بأعمال الحاكم البريطاني لحين سن الدستور وانتخاب

---

(١) حسان ريكان الدليمي، المصدر السابق، ص١١٦.

(٢) بشير محمد سعيد، الزعيم الأزهري وعصره، مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٤٦.

(٣) حسان ريكان الدليمي، المصدر السابق، ص١٢١.

رئيس الدولة، وقد أيدت مصر هذه الفكرة[١]. وتأسيساً لذلك أعلن الأزهري في ١٦/ كانون الأول/ ١٩٥٥ أمام البرلمان السوداني قائلاً: "إن مهمة حكومتي محددة في إتمام السودنة وقد تمت وإتمام الجلاء وقد تم، ثم في جمع كلمة السودانيين حول الاستقلال التام وقد تم هذا أيضاً... ولم يبق إلا إعلانه من داخل هذا المجلس يوم الاثنين القادم التاسع عشر من كانون الأول ديسمبر... وأرجو أن يقدموا عليه ويقرروه بكل شجاعة"[٢].

شعر القادة السودانيين أن الموقف المصري من استقلال السودان كان يتسم بالإيجابية وعليه اجتمع البرلمان السوداني في ١٩/كانون الأول/ ١٩٥٥ وأعلن موافقته بالإجماع على إعلان استقلال السودان[٣].

أجريت مباحثات في القاهرة في ١٢/ كانون الأول/ ١٩٥٥ حضرها عن الجانب المصري زكريا محي الدين وزير الداخلية وعبد الفتاح حسن نائب وزير الدولة لشؤون السودان، ومن بريطانيا سفيرها في القاهرة اللورد تريفيليان والمستر رالف مري **(Mr. Ralef Mery)** الوزير المفوض للسفارة البريطانية في القاهرة، تناولت هذه المباحثات إدخال تعديلات على اتفاقية السودان بما يتفق مع رغبة البرلمان السوداني في الاستقلال[٤].

---

(١) محسن محمد، مصر والسودان- الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية ، دار الشروق، ط/١، بيروت، ١٩٩٤، ص٣١٦-٣١٧.

(٢) بشير محمد سعيد، المصدر السابق، ص١٥١.

(٣) محمد أحمد محبوب، الديمقراطية في الميزان، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص٨٥.

(٤) حسان ريكان الدليمي، المصدر السابق، ص١٢٣.

وتم في جلسة هذا البرلمان في ٣١/ كانون الأول/ ١٩٥٥ الاتفاق على مواصفات العلم السوداني، وأجيز دستور السودان المؤقت الذي تحكم به البلاد إلى أن يتم إقرار الدستور الدائم(١).

وفي الأول من كانون الثاني/ ١٩٥٦ عقد البرلمان السوداني جلسة تلي فيها رسالتين إحداهما من الرئيس جمال عبد الناصر والأخرى من سلوين لويد وزير الدولة للشؤون الخارجية في بريطانيا أعلنا فيها الاعتراف الكامل باستقلال السودان(٢). وأصدرت الحكومة المصرية إعلاناً في اليوم نفسه جاء فيه: "استجابة للقرار الذي أصدره البرلمان السوداني في ١٩/ ديسمبر/ كانون الأول/ ١٩٥٥ والذي يطلب فيه من دولتي الحكم الثنائي أن تعترفا باستقلال السودان، فإن مصر تعترف بأن السودان دولة مستقلة من تاريخ أول يناير / كانون الثاني/ ١٩٥٦" (٣).

وفي صباح هذا اليوم أنزل العلمان المصري والبريطاني من واجهة سراي الحاكم العام ورفع العلم السوداني على واجهة القصر الجمهوري إيذاناً بإعلان ميلاد الجمهورية السودانية(٤)، وأصبحت عضواً في جامعة الدول العربية في ١٩/ كانون الثاني/ من العام ١٩٥٦ (٥).

---

(١) بشير محمد سعيد، المصدر السابق، ص٣٠١.

(٢) محمد أحمد محجوب، المصدر السابق، ص١٧٧؛ بشير محمد سيعد ، المصدر السابق، ص٣٠١.

(٣) رأفت غنيمي الشيخ، التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٦٥.

(٤) إبراهيم محمد حاج موسى، التجربة الديمقراطية وتطور نظام الحكم في السودان ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٠، ص٦٨.

(٥) حسن الفكهاني المحامي، موسوعة جمال عبد الناصر، ج٢، الدار العربية للموسوعات، القاهرة، ١٩٧٢، ص٢٠.

هكذا حصل السودان على استقلاله التام وما كان هذا ليتحقق لولا تفهم حكومة الثورة في مصر لرغبة أبناء الشعب السوداني في استقلال بلادهم مع الاحتفاظ بأفضل العلاقة مع مصر إذ شعر السودانيون بأن وحدتهم مع مصر قد تفقد السودان هويته كبلد واضح المعالم في أطار وحدة وادي النيل، وتزامنت هذه الرغبة مع المعارضة التي أبدتها الحكومة البريطانية لفكرة الوحدة بين البلدين وذلك لتحقيق أطماعها وفرض إرادتها السياسية والاقتصادية بعيداً عن المنافسة المصرية، فضلاً عن الضغوط التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية على بريطانيا لسحب قواتها من السودان كي تطول يدها في إقامة قاعدة أمريكية في السودان لاستخدامها في تنفيذ مآربها السياسية في المنطقة، وعلينا أن لا ننسى أو نقلل من شأن تنامي الوعي الوطني لقادة السودان الذي جعلهم يشعرون بأن قضية بلادهم تسمو فوق كل الاعتبارات الأخرى سواء كانت شخصية أو قبلية.

الخاتمة

شهدت قضية السودان تدخلاً واضحاً من قبل بريطانيا ومصر قبل اندلاع ثورة يوليو/ تموز ١٩٥٢ وبعدها ، وكان كل طرف يحاول تحقيق أهدافه السياسية على حساب رغبة السودانيين في تقرير مصير بلادهم، فكانت مصر ترغب أن يكون السودان جزءاً لا يتجزأ من مصر، أما بريطانيا فكانت تدعم التيار الذي يدعو إلى الانفصال عن مصر، وهذا الموقف الأخير لا ينم عن موقف بريطانيا المساند لقضية السودان بقدر تعلق الأمر بأن بريطانيا ضد فكرة أي مشروع وحدوي في المنطقة لأن هذا الأمر يتعارض مع تحقيق مصالحها الاستعمارية في المنطقة، ولهذا تمكنت بريطانيا في نهاية المطاف أقناع حتى التيار الذي كان يدعو إلى الوحدة مصر باتجاه الانفصال حتى أعلن إسماعيل الأزهري عام ١٩٥٥ صراحةً أمام مؤتمر باندونغ برغبة السودان في الاستقلال عن مصر، ولهذا فقد شعرت مصر بالإحراج أمام المجتمع الدولي مما اضطرها إلى الرضوخ إلى إرادة السودانيين ورغبتهم في الاستقلال عن مصر والذي تحقق في كانون الثاني عام ١٩٥٦ ، على الرغم من أن رغبة الحكومة المصرية كانت تسير قبل هذا باتجاه تحقيق فكرة وحدة وادي النيل.

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق غير المنشورة

١. د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، ملفة رقم ٢٦٧٣ /٣١١ ، تقارير المفوضية العراقية في القاهرة، ٣ تشرين الثاني ١٩٥٢، وثيقة رقم ٨٥.

ثانياً : الوثائق المنشورة

٢. FO 371/102744/56358 .

٣. FO371 / 96908 .

ثالثاً: الكتب العربية والمعربة

٤. بشير محمد سعيد، الزعيم الأزهري وعصره، مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢.

٥. حسن الفكهاني المحامي، موسوعة جمال عبد الناصر، ج٢، الدار العربية للموسوعات، القاهرة، ١٩٧٢.

٦. رأفت غنيمي الشيخ، التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢.

٧. عبد الرحمن المهدي، مذكرات الإمام عبد الرحمن المهدي، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ١٩٩٦.

٨. عبد الله أمام، الناصرية- دراسة بالوثائق في الفكر المصري، القاهرة، د.ت.

٩. عمر محمد عبد الله، معركة البرلمان السوداني، مطبعة التحرير، القاهرة، ١٩٥٤.

١٠. فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع في المصري البريطاني بشأن السودان ١٩٣٦-١٩٥٩، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨.

١١. محسن محمد، مصر والسودان- الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية ، دار الشروق، ط/١، بيروت، ١٩٩٤.
١٢. محمد أحمد محبوب، الديمقراطية في الميزان، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣.
١٣. محمد سعيد محسن، عبد الناصر والسودان، شركة ميدلايت المحدودة، لندن، ١٩٩٢.
١٤. محمد عامر بشير،الجلاء والاستقلال، الدار السودانية للكتب، الخرطوم ، ١٩٧٥.
١٥. محمد عصام المرشدي، الثورة العربية وأثارها في تطور الشعب ونهضتهِ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
١٦. محمد مصطفى هدارة، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٢٥، دراسة تحليلية لطبيعتها وأهدافها وجذورها التاريخية، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، ١٩٦٥.
١٧. محمد نجيب، المذكرات، كنت رئيساً لمصر، مطابع الأهرام التجارية، ط/٣، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٨. محمد نجيب، مصير مصر، ترجمة: مكتبة بغداد للدعاية والإعلان، مطبعة المستقبل، بغداد، د. ت.
١٩. مدثر عبد الرحيم، الإمبريالية والقومية في السودان – دراسته للتطور الدستوري والسياسي ١٨٩٩-١٩٥٦، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧١.
٢٠. أحمد إبراهيم دياب، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٣٨-١٩٥٣، معهد البحوث والدراسات التاريخية، بغداد، ١٩٨٤.
٢١. احمد حمروش، قصة ٢٣ يوليو، ج١، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٧٤.
٢٢. أحمد حمروش، قصة ثورة يوليو، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧.
٢٣. انطوني ايدن، مذكراته، ج١، ترجمة: خيري حماد، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

٢٤. أنور حداد، مجتمع عبد الناصر، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥.
٢٥. إبراهيم محمد حاج موسى، التجربة الديمقراطية وتطور نظام الحكم في السودان ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.

ثالثاً: الأطاريح الجامعية

٢٦. أبو بكر حسن محمد باشا، تأثير مصر على الأوضاع السياسية في السودان ١٩٥١-١٩٥٦، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) معهد الدراسات القومية والاشتراكية (سابقاً) ، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٠.
٢٧. حسان ريكان خلف الدليمي، العلاقات المصرية السودانية ١٩٥٢-١٩٧٠، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٥.
٢٨. منى حسن عبيد الشمالي، حزب الأمة ودوره في الحياة السياسية السودانية ١٩٤٥-١٩٨٩، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٠.

رابعاً: البحوث المنشورة

٢٩. جمال عبد الجواد، مصر في السياسة السودانية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٧٩، بيروت، أيلول سبتمبر، ١٩٨٥.

خامساً: الدوريات والصحف

٣٠. ثورة يوليو والسودان في: مجلة روز اليوسف، العدد ١٩٨٨، السنة الحادية والأربعون، ١٨ يوليو/ تموز ١٩٦٦.
٣١. جريدة الرأي العام، العدد ٢٢٥٨، الأول من تشرين الثاني ١٩٥٢.
٣٢. جريدة السفير، العدد ٢٥٤٣، ٢٨ أيار ١٩٨٢.